د.مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: قضايا نقدية
التخصص: أدب حديث ومعاصر ـ ماستر
المستوى: ثانية ماستر، السداسي 3

المحاضرة رقم 05

عنوان المحاضرة: الالتزام

إن مصطلح الالتزام مصطلح نال كثيرا من الاهتمام في كتابات النقاد الغربيين والعرب، وقد نشأ هذا المصطلح في العصور الحديثة بسبب احتكاك الأديب مع مجتمعه، فهو مصطلح أدبي وفني في نفس الوقت مرتبط بالحياة يسمح للأديب بالتعبير عن واقع إنساني مزري، شريطة أن يكون نابعا من ذات الأديب قائما على أساس الصدق والإخلاص والأمانة التامة في نقل مشاكل المجتمع كما هي.

الدلالة اللغوية: وردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية للدلالة عن معنى اللزوم والوجوب، ففي لسان العرب نجد: "لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما، ولازمة ملازمة ولزاما، والتزامه، وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لُزمة يلزم الشيء فلا يفارقه. واللزام: الملازمة للشيء والدوام عليه، والالتزام الاعتناق"، ونجد المعنى ذاته تقريبا في القاموس المحيط: "لزم الشيء: ثبت ودام، لزم بيته: لم يفارقه، لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه، التزمه: اعتنقه، التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه".

الدلالة الاصطلاحية: لقد تعددت وتنوعت تعاريف الالتزام من ناقد إلى آخر حسب اختلاف المشارب التي أخذ منها كل واحد منهم، ولكن تبقى كلها تعريفات تصب في مجال واحد، والالتزام في اصطلاح الأدباء والنقاد "هو أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب، فكرا محدد من الأفكار، وعقيدة من العقائد، سواء أكان ما يلتزم به دينا أو سياسة... ويكون أدبه ناتج مما اعتقده ممثلا لما اعتنقه"، فأي التزام ديني أو سياسي أو اجتماعي هو بالضرورة ناتج عن أفكار معينة يشترط أن يكون ذا أهداف شريفة، ويسير في خط واضح مستند إلى توقعات فعالة وإلى حلول أو نتائج لما اعتنقه ودافع عنه والتزمه، فلا يكون إلا امتدادا لما انطلق منه.

والالتزام هو تقيد الأديب بقضايا مجتمعه وسعيه إلى إيجاد الحلول المناسبة لها، ولقد جاء في موسوعة لاروس أن "الملتزم هو الذي يتخذ موقفا في النزاعات السياسية والاجتماعية معبرا عن إيديولوجية طبقة ما، حيث يكون هذا الالتزام جليا فنجد المبدع لا يخرج في جميع أعماله عن خدمة هاته الطبقة دون غيرها التي يمكن أن تكون وسيلة لبسط هيمنة هاته الطبقة على غيرها من الطبقات الأخرى، أو حزب أو نزعة ما نجده كذلك لا يتطرق إلا بهاته النزعة".

وهذا يعني أن الالتزام هو اتخاذ موقف من قضية ما ومهما كانت هذه القضية سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية، ولا يمكننا الحكم على أن هذا العمل هو إنتاج أدبي ملتزم إلا من خلال الآثار التي نلحظها ونحسها والتي ينتجها كل فنان أو أديب، ويمكن أن يكون هذا الالتزام حكرا لمصالح شخصية تخدم طبقة ما وتفنى الطبقات الأخرى وذلك راجع لإرادة كل أديب وفنان ملتزم.

والأدب الملتزم يحمل رسالة نبيلة يقدمها للمجتمع من خلال أدبه كون "الالتزام يجعل الأدب غيريا مرتبطا بالآخر منشغلا به، وينهض بهمومه وأحاسيسه ويعيشه أفراحه وأحزانه بدلا

من انغلاقه على ذاته واجتراره مشاعر فردية، وإنه الجانب الإيجابي في علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع وهي ليست علاقة أخذ وعطاء ولا علاقة انصهار وذوبان وإنما علاقة تطابق"

الالتزام عند الغرب:

مفهوم الالتزام عند الواقعية الاشتراكية: إن كلمة الالتزام احتلت مكانا هاما لدى الواقعية الاشتراكية، هذه الأخيرة التي "نشأت على أساس الفلسفة الماركسية التي ترى بأن الفكر أرقى النتاج المادي، وللأدباء رسالة يؤديها نحو المجتمع"، وقد أوجبت على الأدباء في إنتاجهم الأدبي على ضرورة إلزامهم بنشر الفكرة الشيوعية وخدمة الاشتراكية، وهذه "الالتزامات لابد من تحقيقها لدى كل كاتب يريد أن يسير عمله الأدبي على طرائق المذهب الواقعي الاشتراكي"، فالأديب الملتزم في نظرهم هو من جعل أدبه انعكاسا لواقعه في ضوء المبادئ الاشتراكية.

وعليه فالواقعية الاشتراكية تهتم بالالتزام في الأدب والأديب الملتزم، والأديب مسؤول في كشفه وتحقيقه في التحولات الاجتماعية والحضارية وتحريره للإنسان بتقديس مبدأ الحرية، إذ تعد هذه الأخيرة شرط من شروط الالتزام في الواقعية الاشتراكية.

الالتزام في التيار الوجودي: ارتبط مفهوم الالتزام بالتيار الوجودي في الأدب، خصوصا مع "جان بول سارتر" الذي يعد أول من بلور مصطلح الالتزام للدلالة على مسؤولية الأديب، ولتوكيد أن الكلام الأدبي ليس مجرد ترويح عن النفس أو تعبير فني حسب، وإنما هو موقف من أجل التغيير، ولقد بنى "سارتر" رأيه في الالتزام على الأسس الفلسفية للتيار الوجودي، هذه الأسس لخصها " أحمد أبو حاقة" في كتابه (الالتزام في الشعر العربي) ومن أهمها: "

1ــ الإنسان مصدر الوجود، وهو الذي يكشف الأشياء وهو الوسيلة التي تتبدى بها الأشياء.

2 ــ الفكر الإنساني مستقل ويتمتع بحرية تامة تهدف إلى تغيير المواقف بالمشاركة والمساهمة.

3 ــ إن الحرية الحقيقية لا تبين عن نفسها إلا بالعمل الذي يلتزم فهم الحاضر لبناء المستقبل.

4 ــ الإنسان لا يوجد كما توجد الأشياء، وإنما هو الذي يصنع وجوده حرا مختارا وهو المسؤول عن هذا الاختيار وعلى الرغم من كونه حرا إلا ليختار، فهو حر من أجل أن يختار مصيره، فالتزامه كلي وحريته كلية.

5 ــ الإنسان موقف يتحدد عن طريق وعي القيم، ومدار هذا الوعي حرية الفرد، لكن الفرد ليس منسلخا عن العالم الذي يعيش فيه، بل هو يشكل مع مجتمعه وحدة لا تتجزأ، فوعيه الفردي هو الذي يكشف الموقف الإنساني كل ماله من قيمة".

فالوجودية تعتمد على مفاهيم ثلاثة هي: الحرية والمسؤولية والالتزام، هذه المفاهيم التي وظفها "سارتر" لفهم الأدب ودوره، والتزام الأدب ولمن يكتب، واعتبر أن الأدب هو " فن استخدام الكلام وأن الكاتب متكلم، فمادته بطبيعتها ذات دلالة، وأن الكلام عمل أو لحظة خاصة من لحظات العمل، ولا معنى له في خارج هذا النطاق"

ويرى "سارتر" أن الأديب "لا يستطيع الكتابة دون جمهور والتي تكون كونته الظروف التاريخية ودون أسطورة معينة تتعلق إلى حد ما بطلبات هذا الجمهور. وكان سارتر هدفه

ودفاعه هو أن الأدب لا بد أن يحقق التزاما بوظيفة اجتماعية، وأن الالتزام ف الوجود هو حقيقي ومقرون بالحرية الفردية وليس من دوافع خارجية".

الالتزام عند العرب: لقد ارتبطت فكرة الالتزام عند العرب بالأدب مثلهم مثل الغرب وذلك من خلال معايشة ظروف الحياة التي آلت إليها الشعوب والأمم، " والالتزام هو مصطلح نقدي حديث لمدلول قديم، وهو يعني المسؤولية والرعاية في تراثنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

والالتزام بهذا المعنى يقصد به تبني موقف محدد والدفاع عنه، وتحمل مسؤولية ما يترتب عن ذلك من نتائج وذلك من خلال الأفكار والمشاعر والتصورات النابعة عن حريته داخل المجتمع.

وصورة الالتزام عند العرب قبل الإسلام كانت مختلفة في شكلها ومضمونها على باقي الالتزام لدى الأمم الأخرى، حيث كان كل مجتمع ينتمي إلى قبيلة ما تقدم على مبادئ وقوانين فكان لكل قبيلة شعراؤها الذين يعتبرونهم سلاحهم من أي عدو خارجي عليهم أو إذا تعرضوا إلى هجاء وذم من طرف قبيلة أخرى إلا ويدافعون عن أنفسهم بشعرائهم وهذا ما جعلهم يقولون إن شعراء القبيلة هم لسانها المفتخر بأمجادها والهجاء لأعدائها.

وجاء فجر الإسلام الذي أحدث انقلابا واسعا في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية و"كان أثر هذا الانقلاب أنه مس الحياة الأدبية بصفة عامة فظهرت من خلاله بوادر الشعر الإسلامي وهذا ما أوضح لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أهمية الأدب عامة والشعر خاصة ودعا إلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية لأنهم كانوا بين مؤيدين ومعارضين لفكرة الإسلام ومن الذين لبوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعراء حسان بن ثابث وعبد الله بن رواحة اللذين كانا رمزا ومثالا للدعوة الإسلامية وللشعر الإسلامي الملتزم".

ومن القضايا التي التزم بها العرب منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى يومنا هذا هي: "قضية الحرية، والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية وقضايا التحرر العالمية، وبذلك صارت مهمتهم الحقيقية هي: النقد والمعارضة والتنبؤ والعمل على تغيير المجتمع والعالم والتقدم بهما نحو الأفضل، لقد وعوا ظروف الوطن الاجتماعية والقومية والوطنية والمادية والمعنوية والسياسية وعيا تاما قائما على العلم والتأمل، ثم أخذوا على عاتقهم خدمتها والالتزام بها فكانت مواقفهم انتقادية في أحيان وثورية في أحيان أخرى، والأديب الذي التزم موقفا معينا فكافح الجوع والمرض والجهل لا يمكنه أن يحقق التزامه تحقيقا كاملا مالم يخضع لقوانين العالم ويصطدم بالأخطار الناجمة عن موقفه".

مراجع ومصادر المحاضرة:

ـــ ابن منظور: لسان العرب.

ـــ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط.

ـــ الجوهري: تاج العروس.

ـــ أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي.

ـــ إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر.

ـــ محمد سعيد آيبير، بلال الجندي: معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها.

ـــ بدوي طبانه: قضايا النقد الأدبي.

ـــ فيليب تودي هوراردريد: أقدم لك سارتر، تر: إمام عبد الفتاح.

ـــ وليد إبراهيم قصاب: الالتزام الأدبي في المفهوم الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، كلية الدراسات الإسلامية والعربية،دبي السنة السادسة، 1998، ع 22-23.

ـــ أحمد طالب: الالتزام في القصة الجزائرية القصيرة المعاصرة.

ـــ نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المذاهب الأدبية في الشعر العربي المعاصر.